زبدة التراث

(٤)

ما لا يسع الطبيب جهله

عالم الكتب
نشر * توزيع * طباعة

الإدارة :

١٦ شارع جواد حسني
تليفون : ٣٩٢٤٦٢٦
فاكس : ٣٩٣٩٠٢٧

المكتبة :

٣٨ ش عبد الخالق ثروت
تليفون : ٣٩٢٦٤٠١
ص.ب : ٦٦ محمد فريد
الرمز البريدي : ١١٥١٨

حقوق الطبع محفوظة

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

رقم الإيداع : ٢٣٢٠ / ٢٠٠٢
ISBN : 977-232- 289-7

زبدة التراث

٤

ما لا يسع الطبيب جهله

للشيخ الإمام جمال الدين يوسف بن إسماعيل الجوبني

البغدادي الشافعي

الشهير بابن الكتبي

إعداد وتقديم

د. عبد الحميد صالح حمدان

عالم الكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة
«زبدة التراث»

تهدف هذه السلسلة في المقام الأول إحياء تراثنا الحضاري الديني والعلمي بتبسيطه وجعله في متناول يد الجميع، وخاصة شباب جيلنا المعاصر. وتقوم هذه السلسلة على أساس انتقاء زبدة نصوص شوامخ المؤلفات والمصنفات لأعلام الفكر العربي والإسلامي وإخراجها في صورة موجزة لا تخل، بل وتفي بالغرض الذي وضعت من أجله دون الإثقال على القارئ الكريم بالتفاصيل المطولة أو الحواشي المسهبة. وقد جاء الاختيار غير عشوائي أو تعسفي، لكي يرضي جميع الأذواق والاتجاهات، وليكون مرآة صادقة لتراث حضارتنا الزاهرة وصانعيها على مر العصور، وإتاحة الفرصة للرجوع إلى الأصل الذي لا تغني هذه الزبدة عنه بطبيعة الحال؛ فالغرض الأساسي لهذه السلسلة هو تحبيب التراث إلى النفوس وتقريبه إلى الأذهان.

وستعتمد هذه السلسلة على أمهات الكتب المحققة بواسطة محققين ثبت، وكذلك على بعض المخطوطات عند الاقتضاء.

الناشر

تقديم

الحمد لله حمداً كثيراً، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه الأطهار،

وبعد،

فهذه زبدة كتاب 'ما لا يسع الطبيب جهله' للشيخ الإمام البحر الهمام العلامة الفاضل الرئيس الكامل جمال الدين يوسف بن إسماعيل ابن إلياس بن أحمد الجوبني البغدادي الشافعي المعروف بابن الكتبي، عالم فقيه فرضي طبيب. أعاد بالمستنصرية واشتغل وصنف، وترك المستنصرية ولازم الطب. وهو مدني المولد والنشأة، نشأ وعاش ببغداد. توفي حوالى سنة ٧٥٤[١]. وله مؤلف آخر عنوانه 'مجمع المنافع البدنية'، ولكنه اشتهر لدى من تلاه بكتابه 'ما لا يسع طبيب جهله' وقد انعكس ذلك على التأثير في كتبهم مثل قاموس الأطباء وناموس الأولياء للقوصوني. كما أنه ترجم إلى اللغة التركية في عصر السلطان مراد خان الثالث[٢].

وصف الكتاب

يتألف الكتاب من مقدمة يليها جزءان. وتنقسم المقدمة إلى ١٤ فصلاً هي بعد المقدمة العامة:

١ ــ تقسيم الوارد على البدن إلى بسيط ومركب وأنواعهما.

(١) كحالة، معجم المؤلفين: ١٣/ ٤٢٧٤ والزركلي، الأعلام ٩/ ٢٨٨، بروكلمان ٢/ ٢١٨ ــ ٢١٩.

(٢) حاجي خليفة، ١٥٧٥.

٢ ــ تدرج المراتب الدوائية فيضع لها مقياساً كمياً.

٣ ــ طريقة معرفة مزج الدواء.

٤ ــ مراتب القوى الدوائية.

٥ ــ الأدوية المفيدة والضارة.

٦ــ أوصاف الأدوية وتأثيراتها.

٧ــ العوامل المؤثرة على الأدوية.

٨ــ أنواع الكيفيات للأدوية.

٩ــ سمة العلم وتناقضه الناجم عن العوامل الموضوعية أو الذاتية.

١٠ ــ شروط استخلاص الأدوية من مصادرها وحفظها.

١١ــ عن الطعام والشراب

١٢ــ مكان نبت النباتات وتأثيره على الأدوية المستخلصة منها.

١٣ ــ النباتات ذوات الكيفيات المنحرفة: مفردها ومركبها.

١٤ــ إفراد أجزاء النبتة أو الحيوان.

ثم ينتقل إلى ذكر الأدوية المفردة دواءً دواءً، مرتبة وفق الترتيب الهجائي.

أهمية الكتاب

هذا الكتاب يلقي الضوء على فرع مهم من فروع الأدوية وهو علم الأدوية التطبيقي السريري ، مع تحديد نقاط الضعف في كتاب ابن البيطار "الجامع لمفردات الأدوية"، مع نظرة علمية تجريبية بعيدة عن الأخذ بالخرافات والخوارق قريبة إلى الموضوعية وتحكيم العقل، كل ذلك بأسلوب بليغ فصيح، وسرد علمي دقيق، فهو لا يلجأ إلى الغريب أو الحواشي من الكلمات ، مع قدرة فائقة على تضمين كلامه بالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة دون تكلف[1].

غير أننا ننبه هنا إلى ما بلغه العلم الحديث من تقدم، وما أحرزه من انتصارات مهمة في علم الأدوية وغيره من العلوم، مما يجعل ما جاء في هذه المخطوطة مجرد تراث علمي يمثل مرحلة من مراحل التفكير الإنساني، التي لا غنى عنها للوصول إلى التطور على مدار الزمن. ولذلك سيلاحظ القارئ الكريم أن بعض ما جاء في هذا الكتاب يخالف للنقل والعقل في عدة أمور، فوجب التنويه.

ولهذا الكتاب مخطوطات عديدة في مكتبات الشرق والغرب، ولكنه لم يحظ بأي تحقيق علمي لكي يخرج إلى النور.

وقد اعتمدنا هنا على مخطوطتين اثنتين ، هما:

---

(١) انظر مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الثامن والعشرون، الجزء الثاني، ص٥٨٨

١ ـ مخطوطة باريس رقم ٣٠٠٥، وهى مكتوبة بخط النسخ الجميل، وتاريخ نسخها هو يوم الأحد من أواسط ربيع الأول سنة ثلاث عشر وتسعمائة هجرية، وعدد أوراقها ٣١١ ورقة، ومسطرتها ٢٣ سطراً، ومقياسها ٢٧×١٨ سم.

٢ ـ مخطوطة أوبسالا رقم ٣٥٥، وهى مكتوبة بخط واضح جميل، وتاريخ نسخها هو يوم الأحد الحادى والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ٩٤٤ وعدد أوراقها ٣٠١ ورقة، ومسطرتها ٢٢ سطراً ومقياسها ٣٠ × ٢٠ سم.

والله ولى التوفيق،

دكتور

عبدالحميد صالح حمدان

دكتوراه الدولة فى الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة باريس

اللوحة رقم ١ عن مخطوطة باريس رقم ٣٠٠٥

الحمد لله الذي لا يكتنه حقيقة معرفته العلوم والأفهام، ولا يحيط بكنه ذاته
العقول والأوهام، أبدع الأجرام العلوية وزينها بأحسن زينة، واخترع الأجسام
السفلية وكونها على أكمل صنعة، فجعل العناصر سببًا ماديًا للكائنات الفاسدات
والكون والفساد شرطًا ذاتيًا لحصول المتولدات، فيحصل منها بواسطة الخلق
والتقدير الحيوان والمعدن والنبات، ومن من دونها على الإنسان بحسن الخلق
والتصوير، وخص من بينها الأنبياء بالوحي والإلهام والتعليم، أحمده بلسان ذي كل عن
شكره، وأوحده توحيدًا لا يمل من ذكره، وأصلي على النبي الأمي صاحب المعجزات
والآيات، محمد المبعوث بأصح الديانات وأوضح البينات، وعلى آله وصحبه الذين
أخمدوا نار الشرك والعدوان، وأناروا ما خمد من نور التوحيد والإيمان، صلاة
وسيلة متواترة الآثار، متوالية مثل السح والقطر، أما بعد فلما كان الإنسان
من الحيوان جملة من المركبات العنصرية، والمتولدات التي تراكيبه اقتضى أن
يكون دائمًا متهافتًا في الذبول والتحلل، منقلب الأحوال من التميز إلى التبدل،
ممنوًا بالأسقام والعلل أيام حياته وصحته مصابًا بالفتور والتغير حيث ما وجد
ونوعه، وذلك لأسباب داخلة في تركيبه، وأمور خارجة مقتضيها سببًا
وتدبيره، وكان من ضرورة الصحة والبقاء، إيجاد الغذاء، وخلق الدواء، ودبر
الباري بتقديم عنايته السابقة، وعميم رحمته اللاحقة، وعظيم رأفته اللاحقة،
أن جعل له غذاء مختلفًا، ليكون قوامًا لما خلق، جعله
متباينًا في الطعوم والألوان، مختلف الصور مختلف الأركان، متوازن وغير
متوازن متشابهًا وغير متشابه، وتفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات
لقوم يعقلون، ومنها ... سدادًا لتنزع الشهوات، وحدها لمختلف الإرادات
وأوجد لمختلف ... أصناف الدواء، وألهمه كيفية استعماله وتقديره، وأعلمه
جهة ... وتقديره، ... مختلف المزاج والقوة، تنبيهًا لوصول النفع، وتركيبه

اللوحة رقم ٢ عن مخطوطة أوبسالا رقم ٣٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم يسّر والطف ياكريم

الحمد لله الذى لا تكتنه حقيقة معرفته[1] العلوم والأفهام، ولا تحيط بكنه ذاته العقول والأوهام، ابتدع الأجرام العلوية وزينها بأجمل صورة، واخترع الأجسام السفلية وكونها على أكمل صنعة[2]، جعل العناصر سبباً مادياً للكائنات الفاسدات، والكون والفساد شرطاً ذاتياً بحصول المتوالدات، فيحصل عنها بواسطة الخلق والتقدير الحيوان والمعدن والنبات، ونصّ من دونها على الإنسان بحسن الخلق والتقويم، وخصّ من بينها إياه بالوحى والإلهام والتعليم، أحمده بلسان لا يكل عن شكره، وأوحده بجنان لا يملّ من ذكره، وأصلى على النبى الأمىّ صاحب المعجزات والآيات محمد المبعوث بأفصح الآيات وأوضح البينات، وعلى آله وأصحابه الذين أخمدوا نار الشرك والعدوان، وأناروا ما خمد من نور التوحيد والإيمان صلاة متواترة الدّر، متواصلة الشحّ والقطر؛

وبعد، فإنه لما كان الإنسان بل الحيوان جملة من المركبات العنصرية، والمولدات الامتزاجية، اقتضى أن يكون دائما آخذاً فى الذبول والتحلل، منقلب الأحوال من التغيّر إلى التبدل، ممنوا بالأوصاب والعلل أيام حياته وصحته، مصاباً بالفتور والضعف فى مادته وقوته، وذلك لأسباب داخلة فى تركيبه، وأحوال خارجة يقتضيها سواء اختياره وترتيبه، وكان من ضرورة الصحة والبقاء، إيجاد الغذاء وخلق الدواء، دبّر البارى بقديم

(١) كذا فى مخطوطة باريس، وفى غيرها، الذى لا تكتنه بمعرفة حقيقته...

(٢) كذا فى مخطوطة باريس، وفى غيرها، على أكمل صيغة.

عنايته السابقة وعميم رحمته اللاحقة، أن جعل له غذاء مختلفاً ليكون عما تحلل خلفاً، جعله متباين الطعوم والألوان، مختلف الصور متفق الأركان صنوان وغير صنوان، تسقى بماء واحد "ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون" دفعاً للسأم ومنعاً للملل وسداداً لتنوع الشهوات، وعداداً لمختلف الإرادات وأوجد له بجوده العميم أصناف الدواء، وألهمه كيفية استعماله وقدره وأعلمه جهد تناوله وقدره، أبدعه مختلف المزاج والقوة تتميماً لوصول النعمة، وتكميلاً لحصول المنفعة، ثم أنه تعالى جده وتقدس اسمه لم يخص بعلم ذلك إنساناً دون إنسان، ولم يخص بإلهامه ذلك حيواناً دون حيوان، بل أفاض على كل بقدر استعداده وقوته، وعرّفه منه ما يستعين به على بقاء شخصيته، شوقاً إلى غاية كماله وليجرى نفسه على أفضل أحواله. ألا ترى إلهام الباري جل وعلا الطير كيف يلقط الملائم، ويسقط المنافي كالذوان والشيلم، فإنهما متناسبا الصورة فيأكل الشيلم وينفى الذوان من غير ذوق ولا شمّ ولا فهم ولا علم، وما حكى من استعانة القطاة[1] والورل[2] بمضه لعرق الكبر على قتال الأفعى، وبما يحمله العقاب والنسر من الحجر الميسِّر للولادة عند تعسر ولادة إناثها، وما تحمله الخطاطيف من العروق أو الحجر الأصفر عند برقان فراخها، وحقن الطائر البحرى نفسه بمنقاره عند تعسر نجاته، إلى غير ذلك من الأحوال العجيبة، والإلهامات الغريبة، فسبحان الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى. ولا ريب أن العلماء الأطباء الفضلاء منهم النبلاء،

(١) ويقال لها السحلية فى مصر، انظر معجم الحيوان للمعلوف، ص١٤٢.

(٢) حيوان من الزاحفات، انظر معجم الحيوان للمعلوف، ص١٦٢.

صنّفوا في الأدوية والأغذية كتباً كثيرة تكاد تخرج عن الحصر وتنبو عن العدّ والذكر، فمنهم من أفرد ذكر الغذاء، ومنهم من اقتصر على الدواء ومنهم من جمعهما في كتاب ممزوجاً أو مفصلاً في أبواب، ثم إن هؤلاء منهم من اقتصر على ذكر البسيط منهما، ومنهم من لم يذكر غير المركب عنهما أو عن أحدهما، ومنهم من جمع بينهما، ثم أنا وجدنا أكثر مصنفات القوم لا تخلو عن تقصير أو تطويل، مع غلط وسهو وتصحيف وتبديل، إما لخلل يحصل في النقل، أو لاختلال في التصور والعقل، أو لاشتراك في الاسم والماهية، أو لاشتباه في الفعل والقوة، أو لقصور وعي، أو تقليد جاهل غبيّ اتكالاً في تقليده على اشتهاره بين العامة والجهالة، واعتماداً على مداولة اسمه وصيته في المدن أو المحال أو لقربه من عظيم بلدة أو رئيس خطة، أو يكون ذا جاه وشيعة أو صاحب رتبة رفيعة، كما نجد أبناء هذا الزمان، وعلماء هذا العصر والأوان، إذ قد صار العلم لديهم عبارة عن تشاور بأمير أو تشاور لوزير، أو أن يكون مصاحباً لوال نبيه، أو مقارباً لمتمول سفيه، أو يكون ذا ثياب نفيسة وعمامة طويلة وذؤابة منهدلة وأذيال منسدلة وأكمام متسعة وبغلة فارهة وغلمة مختلمة وهذيان لا يفهم وفساد لا سبيل إلى أن يستعلم، "كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً"[1] يصيد السائل بسفهه وصحبته، ويوهم الجاهل بعلو منصبه وكثرة كتبه، يقطع الوقت بضحك ودعابة أو طول صمت مشوب بمهابة أو كآبة، فإن حكى حكاية منحولة أو أنشد قصيدة ملحونة، فذلك عندهم العليم الذي لا يبارى والعظيم الذي لا يجارى يميل إليهم الجاهل

(١) سورة النور، ٣٩.

ويملّهم العاقل وما أحسن ما حكى عن بعض الفضلاء رحمه الله حيث قال: الطبيب ببغداد عبارة عن قميص وبقبار، ونصرانى من درب دينار. وكنت وقفت على كثير من الكتب المصنفة فى هذا الفن مختصرها ومطولها، فلم أجد أجمع من كتاب ابن البيطار[1] فى الأدوية والأغذية المفردة المسماة بالجامع، ولا أنفع منه فى هذا الفن لكنى وجدت فيه من التطويل المضلّ والتكرار المملّ، والتقصير المخلّ والاشتباه المذل ما لا يحصى، أكثره يظهر عليه من عنده أدنى تمييز مع خلو أكثره عن بيان ما تشتد الحاجة إليه وتدعو الضرورة إليه كمزاج الدواء ودرجته فى قوته ومقدار ما يستعمل منه. ولم يبين فى الأكثر ضرر الدواء ولا استدراكه ولا ما يصلحه عند التناول والاستعمال مع تطويله باسم أدوية مجهولة الماهية غير مشتهرة ولا معروفة، أو يذكر ماهيته ويطنب فى شرحها، ولم يذكر منفعة مقصودة أو خاصية شريفة. ثم إنه اشترط شروطا فى تبيين اسم الدواء لم ينهض بأكثرها، وترك ذكر أسماء غريبة وغير عربية مشهورة فى أبوابها، ثم إنه كثيراً ما يفسر البرى بالجبلى والمائى بالبحرى، ثم إنه التزم نقل كلام المشايخ بذاته فلم نجده فى المقابلة كهو، فأداه هذا الالتزام إلى وقوعه فى التكرار مع علم به أو جهل، ثم إنه يذكر دواء ويشرح له ماهية ويذكر له معرفة ويعرفه باسم آخر، وربما أحال عليه ثم يذكر الاسم الآخر، ولم يقل فى بعض المواضع وهو الشىء الفلانى المذكور، بل ربما ذكر ماهية ومنافع مخالفة فى البعض أو موافقة فى الكل، لكنه رحمه الله له فضيلة

(١) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لضياء الدين بن عبدالله الأندلسى المالكى المعروف بابن البيطار، المتوفى سنة ٦٤٦ هجرية.

النقل والجمع، واستدرك على العشابين أحوالاً كثيرة اشتبهت عليهم، أداه إليها حسن اجتهاده وسعة علم بها وكثرة تفتيشه عليها. فاستخرت الله سبحانه ونفيت عنه قشرته وأظهرت منه لبه فحذفت أسماء العلماء وأسقطت منه التكرار وما لا طائل تحتها من دواء أو غذاء أو ما ليس بمعروف ولا مشهور وإن كان فيه خاصية بديعة منفعة شريفة ذكرته واستقصيت شرح ماهيته لعلنا نظفر به، وما ليس كذلك نفيته. ثم إني أشرح منفعة الدواء عندما اشتهر من أسمائه أو عند أكثر القدماء استعماله، فأذكره عنده وأحيل بالمشتهر عليه لئلا ينسى ذلك الاسم ولا يعرف بعده وهو اليسير القدر بالمرة ولا ألفت إلى ما اصطلح عليه عوام العطارين وجهال الصيدلانيين من اسم أو صفة، بل أورد ما هذا شأنه على وصفه الأصلي أو عرفه العامي وأبين فيه ما يصل إليه جهدي من الاختلاف وفساد تصور الغبيّ، وأبين مرتبة الدواء ودرجته وأظهر منفعته ومضرته وقدره ومصلحته وكيفية استعماله وجهة إيراده وبدله، وأشرح ما ذكره من اسم دواء أو مرض أو مكيال أو وزن ذكره بغير العربية، ولم أغير قدر المستعمل عند تفسير ما هذا شأنه بل أعقبه بما ينبغي أن يستعمل منه إما بزيادة عليه أو نقص عنه، وزدت فيه أسامي أدوية وأغذية لم يذكرها ومنافع لم يظهرها، ولم أقلده في ذلك بل تتبعت ما أمكنني تتبعه من كلام المحققين والعلماء المبرزين الصارفين همهم وكدّهم إلى تحريره، وما سمعته من مشايخي وجربته في معالجتي، وأذكر من الإبدال ما تيسر ولا أترك منها إلا ما تعذر، فهو كالمختصر من جهة، وكالشرح من جهة، وككتاب مفرد من جهة، وجعلته كتابين: أحدهما يشتمل على مفردات

الأدوية والأغذية؛ والآخر في المركب منهما. وقدمت على كل كتاب مقدمة تتعلق بقوانين وأحكام يجب معرفتها قبل الخوض فيهما. وجعلتهما جامعين حاويين لجميع ما يحتاج إليه الطبيب منهما من قليل وكثير، وجليل وحقير، ولم أقصد بذلك ترفعاً ولا رئاسة ولا تشطراً ونباهة، بل قصدي المنفعة في العاجلة والرفعة في الآجلة، وسميته "بما لا يسع الطبيب جهله"، وفي عزمي إن فسح الله في الأجل [أن] أضيفه إلى تكثير كتابي علم وعمل ليصير بالجميع كتاباً كاملاً ودستوراً فاضلاً وكناشاً كافياً وبالمطلوب وافياً لا يحتاج معه إلى تكثير الدفاتر والكتب ولا جمع القرا باذنيات ولا الإطلاع على أنواع العلوم والمعالجات، حوى صنوف العلم والعمل وخلى بتوفيق الله عن الخلط والخطل مستعيناً في ذلك كله بواجب الوجود ومفيض العدل والجود ومتوكلاً عليه.

مقدمة:

اعلم أن البارى جل وعلا من جملة ألطافه الخفية ورحمته العميمة جعل مواد الأدوية أكثر من مواد الأغذية. ألا ترى إلى تخصيص الغذاء بالمركب وما يتولد عنهما كافة ليكون الدواء أكثر وجوداً غير مختص بزمان أو مكان واعون على بلوغ الأغراض، إذ حاجة الحيوان إلى دفع الضرر أكثر من جلب النفع أنعون على طول البقاء وأسرع لسرعة الفناء، فجعل لكل داء أدوية شتى ومنافع منه متفننة ودوافع له متعددة فضلاً منه ولطفاً، كما قال سيد البشر صلوات الله وسلامه عليه: "ما خلق الله داء إلا وخلق له سبعين دواء"[1]، فسبحان من لطيف ما أحكمه، ومن حاكم ما أعدله.

(١) وفي لفظ آخر: ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، أخرجه ابن ماجة في سننه عن أبي هريرة.

فصل ١

واعلم أن الوارد على البدن لا يخلو إما أن يكون بسيطاً أو مركباً، ونعني بالبسيط هنا ما لم ينقسم إلى أجزاء مختلفة لا في الصورة ولا في القوة، ويكون جزؤه مثل كله في الحد والحقيقة كالعناصر الأربعة. والمركب ما تألف عنها وقد يسمى بسيطاً ومفرداً من حيث إنه بعد وجوده وتشخيصه لم يلتئم من غيره التئام امتزاج أو مجاورة، وقد يساوي جزؤه كله في الحد والاسم فقط وغيره مخالف لذلك، ويعرف هنا ما يكون أجزاؤه مختلفة القوى والصور متباينة الحقيقة والحد. والبسيط من حيث هو بسيط لا يكون غذاء للمركب من حيث هو مركب، بل فيه دوائية له وحفظ وإعانة وإنما كالهواء المستنشق والماء المشروب.

والمركب منهما مطلقاً، إما أن يغيّر البدن مطلقاً وهوالدواء المطلق، ثم إن قهر البدن بكل حال، وهو القاتل، وإما أن يقهره بعد فعل البدن فيه عملاً ما، وهو الدواء المحض، أو يغير البدن مطلقاً ويحيله إلى جوهره وهو الغذاء المطلق، وإما أن يغير البدن أولاً ثم يتغير عنه ثانياً وهو الغذاء، ويستحيل إلى جوهره وهو الدواء الغذائي، أو يغيره البدن أولاً ثم يتغير عنه وهو الغذاء الدوائي. والدواء المطلق لا يخلو إما أن يغير البدن إلى كيفية مشابهة لمزاج البدن من غير تبيين أثر وغايته حفظ طبيعة الوارد عليه كماً وكيفاً، نعم يظهر بالتكثير والتكرير فيحسّن به أو إلى كيفية زائدة مع تبين أثر. **والأول** يسمى بالدواء المعتدل، والثاني لا يخلو إما أن يغيّره أو يؤثر فيه أثراً ظاهراً أو خفياً، **الثاني** هو الدواء في الدرجة الأولى، والأول إما أن يكون مع إقلاق للطبيعة أولاً، والثاني في الدرجة الثانية، والزول إما أن يكون مع إفساد للطبيعة أولا، الثاني في الدرجة الثالثة والأول في

الدرجة الرابعة وهو السم والقاتل غالباً. والدواء يؤثر في البدن تأثير كيفية بالذات والغذاء تأثيره تأثير كمية بالذات.

فصل ٢

وإنما جعلوا مراتبها مدرجة هكذا لأنهم رأوا أن منه ما يؤثر في البدن ويغيره تغييراً في الغاية من القوة والكثرة، فجعلوه في الدرجة الرابعة ومقابله في الأولى وما بينهما، فإما أن تميل إلى جهة القوة فيجعلوه في الثالثة وما مال إلى مقابله وقرب منه جعلوه في الدرجة الثانية. وثم إن كل مرتبة فيها مراتب باعتبار أولها وأوسطها وآخرها. والذي حداهم إلى هذا الترتيب والاصطلاح تفاوت القوى في أنفسها وتفاوت أثرها وليزنون قوة المريض والمرض ليستعملوا منه ما يناسب ويوافق.

فصل ٣

والطريق إلى معرفة مزاج الدواء القياس فقط عند اسقليبوس[1] الأول وأساطين الحكماء الطبيعيين ولما ضعفت همم من بعدهم عن البلوغ إلى درجة القياس اقتصروا على بعض مواده كالتجربة فجعلوها قسيما برأسه وقسما للقياس، وهو خطأ واصطلاح فاسد وغفلوا عن قول الأول: لا خير في تجربة لم يعضدها قياس، حتى أن بعضهم ضعفت نفسه عن التجربة واحتج بخطرها واعتمد على الطعم فقط أو مع غيره من المواد وربما بلغوا في المخرقة وسقوط الهمة إلى التعلق بالإلهام والمنام وفعل الحيوان، وربما تخشف[2] من هؤلاء قوم واستخفوا وخرجوا بالمرة عن قانون العقل، وتوقفوا عن تعريف الإمام المعصوم إياهم ذلك، وربما ذهب عقلاؤهم

(١) وجاء اسمه "اسقليوس" في ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٢٩.

(٢) من "خشف" وهو عدم الحركة الطبيعية، واستخشف أي يبس.

والمبرزون منهم لا المبرزين إلا أنه لا يعلم ذلك غيره إلا بتعليمه إياه. وأعلم أن جميع ذلك هوس وقصور بل هذه الطرق أعنى الإلهام والمنام وفعل الحيوان والتجربة المطلقة إذا حصل منها أمر أو أمور بحثنا عنها بطرق قياسية وفكرنا فيها مع مُغَيبات حديثة[1] فإن وافق فعله قوته يسمى قياساً حقاً وصحيحاً ويضاف إلى مادته التى تحصل عنها أو كان لها مدخل فى تحصيله، فيقال عرف بقياس إلهامى أو تجريبى مثلاً، وإن لم يوافق فعله قوته أو لم تعلم قوته ولم يتبين حاله فيسمى فعلاً بالخاصية، وهذا لا يستعمل فى كل إنسان ولا فى كل زمان ومكان إذ قد يكون لمثل هذه الأحوال مدخل فى الخاصية كما لها مدخل فى مقابلة، وبعضهم يطلق فعله فى كل حال وبه يعرفه، وفيه نظر.

فصل ٤

ومواد القياس غير ما ذكر أشياء، أحدها فعل الدواء وهو حفظ حقيقة التجربة وله شروط. **أحدها** أن يمتحن فى بدن الإنسان وبالنسبة إليه لأنه أعدل الحيوان مزاجاً، وأقربها إلى حاق[2] الوسط، ولأن التأثير يظهر فى المعتدل أو القريب منه بخلاف المنحرف، وخصوصاً إذا أوغل فى الانحراف فيصير معيناً أو مانعاً ولا يتحقق فعله الخاص ولا مقدار قوته، ولأن بدن الإنسان كالغاية المطلوب لها ذلك. ألا ترى كيف صار الخريق سمّاً للإنسان غذاء للزرزور[3]، والدروج سم له غذاء للدجاج، والقيح

(١) كذا فى مخطوطة أوبسالا، وجاء "معينات حدسيّة" فى مخطوطة باريس، ولعله الأصوب.

(٢) كذا فى مخطوطة باريس، جاء فى مخطوطة أوبسالا "حق".

(٣) طائر أكبر من البلبل، انظر المعلوف، المرجع السابق، خر٢٣٤.

والراوند عند الإنسان يكاد يلهبه بارد عن الفرس، يكاد أن يجمده فيقتله. ثم إنهم لا يعنون بهذه الإنسانية، بل يريدون به ما كان معتدلاً في جميع أحواله ولوازمه الخارجة والداخلة، ألا ترى إلى غذاء الهند كيف هو دواء الصقالبة. **الشرط الثاني**: أن يكون الدواء الذي يمتحن فعله خالياً من كل كيفية مكتسبة سواء كان بفعل فاعل كتسخين الماء، أو مجاورة دواء لدواء، فيقويه أو يكسر من سورته كالجندبيد ستر مع الفربيون أو الأفيون أو كخروجه بثفه كزنخ الجوز وعصير الحمص. **الشرط الثالث**: أن يداوى به مرضاً مفرداً ليتحقق أثره فيه. **الشرط الرابع**: أن يداوى به علاً متضادة ليثبت بها فعله، ويغلب على الظن مزاجه وقوته بتكرار نفعه في مادة، وتخلفه في ضدها، وينبغي ها هنا أن يشتد التفقد للفعل بحسب الذات والغرض. **الشرط الخامس**: وزن قوة الدواء وقوة المرض، وهذا يحتاج إلى نوع من التلطف الحدسي والتوقي في الإيراد بحيث تورد على البدن منه قدراً يتبين أثره، ولا ينبغي أن يلتفت إلى قول من يقول أن تندرج في الإيراد من الأقل إلى الأكثر ولا نحتاج إلى وزن واعتبار، لأنه مما يعوّد الطبيعة ويمرّنها فلا يفعل منه القدر الحقيقي بل يحتاج إلى زيادة عن قوته الخاصة به لتكون الزيادة في مقابلة ذلك القدر من العادة والتمرن، وأما من ذهب إلى أن يعطى الأكثر وننزل عنه إلى الأقل فهذيان محض وخطر لا يفعله ويقدم عليه إلا جاهل. **الشرط السادس**: اعتبار فعله بحسب الزمان، هل يفعل حين تناوله أو بعده بقليل أو كثير، دائم الفعل أو منقطعه، أقلياً أو أكثرياً، موافق لما يجرى منه أو مخالف، ويحتاج ها هنا إلى تدقيق نظر وتمييز الغرض من الذاتي في هذا الموطن، وهذا السادس في قوة شرطين

وينبغي أن لا يتغير بتخلف الدواء لا حدته في فعله بحسب الأمزجة المختلفة لما عرفت. وللأمزجة خواص خفية ينبغي للمجوب أن لا يغفل عنها. وأما الثاني من الطرق فهو الطعم وهذا الوجه يحتاج في الاستعلام إلى مقدمة وهي أن الشيء المركب لابد له من علل أربع: الفاعل والمادة والصورة والغاية. فالفاعل القريب في هذا المطلوب هما الكيفيتان الفاعلتان ومتوسطهما أعني الحرارة والبرودة والاعتدال. والمادة الجرم القابل لأثر المؤثر، والصورة معلومة واللون منها، والغاية هي الأثر الصادر عنه وهو الفعل، وقد تقدم بيانه وحيث الفاعل ثلاثة والمادة على ثلاثة أقسام لطيفة وغليظة ومعتدلة بينهما، فالحاصل منها تسعة أضرب، واحد لا طعم له، وثمانية ذات طعوم، فإذا فعل الحار في اللطيف أحدث الحرارة وفي الغليظ المرارة، وفي المتوسط الملوحة. والبارد إذا فعل في اللطيف أحدث الحموضة، وفي المتوسط المقبوضة وفي الغليظ العفوصة. والمعتدل إذا فعل في اللطيف أحدث الدسومة، وفي الغليظ الحلاوة، والحرارة في الحلو أظهر منها في الدسم، وفي المعتدل التفاهد ويسمى المسيخ الطعم أيضاً، وهي مترتبة في القوة والضعف كما سردت. ولهذا الطعوم في اللسان أفعال تنبئ عن أحوالها فما لا يؤثر لذاذة ولا أذى فهو مسيخ، وما فرق أجزاؤه وغاص فيه ولذعه لذعاً بيّناً فهو الحريف، وما فوق ظاهره خشنة مع بشاعة وتقلب نفس فهو مر، وما غاص فيه من غير لدغ ولا تخشين بل جلاء فهو مالح، وما أحدث في اللسان لذعاً لطيفاً شبيه الغليان مع جلاء ويبس وعذوبة وتقطيع يسير فحامض، وما جمعه فقابض، وما كشفه وخشنه فعفص، وما ملسه وبسطه وأحدث سخونة ولذاذة فهو حلو مع

الجسم أزال ملحه، وما ملّس ظاهره وليفه فهو دسم. وهذه الطعوم تسمى البسيطة وقد تتركب وتجتمع في جرم واحد فيكون طبيعته مركبة وقوته بحسب ذلك التركيب، وما يغلب عليه بالسام خاصة كاجتماع المرارة والحرافة في الباذنجان ويسمى حاداً، والمرارة والملوحة ويسمى الفرعوقة. واعلم أن هذا الاجتماع قد يكون سمينا بعضه لبعض ونافعاً. أما الثالث فمأخوذ من سرعة الاستحالة وعدمها، والجمود وعدمه، فإن كل جسمين تساويا في قوام فإنهما قبل السخونة أسرع فهو أحر وأيهما قبل الجمود كان أبرد، وفي ذلك تفصيل لا يليق ذكره هنا لأنه يعود إلى تفصيل المادة وخواصها وما يلحقها، وهو بالعلم الطبيعي أنسب. وأما الرابع وهو الرائحة وهو أضعف طرق الاستدلال المذكورة السالفة، وما دل منها على طعوم أجرامها فهي أكد في الدلالة وسبب ضعفها أن المستنشق منه أما تكيف الهواء به أو مخالطة إجراء لطيفة ينحل منه الهواء فلا يدل على جملة إجرائه لكن في الأكثر ذو الرائحة أحر مما لا رائحة له خصوصاً أن اتصاف البهاء فعل ما كلذع الرائحة أو وجود برودة في الاستنشاق فإن الأول يدل على حرارة والثاني على برودة ورطوبة وكرائحة الأفاوية والطيوب فإنها تدل على الحرارة غالباً. وأما الخامس فالألوان وهي أضعف الاستدلالات الماضية لكثرة الاشتراك والاشتباه، ولأنها عرض تدركه الحاسة بقوة منبعثة وشبح منطبع من غير مباشرة الجرم للجرم واللون من الأعراض الضعيفة وفيه بحث، لكن إذا كان جوهران من صنف واحد تحت نوع واحد فنحكم بأن الأسود والأصفر والأحمر من علامات الحرارة غالباً والأبيض والأغبر والأزرق من علامات البرودة غالباً، وكذا ما يترتب من هذه الألوان ويميل إلى جهة منها.

فصل ٥

واعلم أن الأطباء كما قسموا الأمزجة قسموا القوى أيضاً إلى مراتب، ونعني ها هنا بالقوى هو السبب الموجب للفعل، وفي الحقيقة إنما هي صورة المزاج وكيفيته الحاصلة للممتزج عند وجوده وتركيبه وما يلزم عنه وما يلزم لازمه، فيقولون أوائل وثوان وثوالث، وفي الحقيقة هي أفعالها المحسوسة في الموضوع الملاقى إياها، ويعنون بالأوائل هو ما يحصل للماهية من مبدأ الفيض والإيجاد عند حدوثه من الكيفيات، الأول وهي الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة، فيحصل عنها في أول الأمر أثرها في الملاقي كالحر وغيره، وبالثواني ما يحدث بعد هذه المرتبة وهي من لوازم الأوائل وهو على قسمين: منه طبيعي ومنه صناعي، والطبيعي كالورد، فإنه مركب من أجزاء كل واحد له كيفية أولية مفاضة عليه ثم عند اجتماعها حصلت كيفية ثانية غير ما لكل واحدة من أجزائه بمفرده كالروع، والصناعي كتركيب الأدوية المفردة، فيحصل بتركيبها مزاج ثان يفعل غير ما يفعله كل واحد من أجزاء أفراده كالترياق ثم هذا الاجتماع والامتزاج قد يكون مع موافق فيسمى الموافقة أو مع متضاد فيسمى المتضادة، ويعنون بهذا أن يكون في الممتزج قوتان باردة وحارة مثل حالتين في جزأين، وتركب منهما ذلك الممتزج متفاعلان بحيث يصير المجموع متشابه القوة لا أن فيه القوتين ساريتان في جزء واحد ولم يفعل أحدهما في الآخر فعلاً تاماً بحيث يجعله كقوة واحدة فإن كل مركب فيه قوى متضادة بهذا المعنى، لكن يخصون به ما يكون هذا القوى فيه بالفعل أو قريبة منه بذلك التفسير. ثم هذا الامتزاج على قسمين: أحدهما امتزاج في غاية القوة والتماسك

بحيث يعسر التفريق بينهما أو يتعذر كالذهب والبابونج، أو امتزاج ضعيف وهو على قسمين: سهل التفرق سريعة كالخمص وعسر التفريق بطيئة كالثوم. وينبغي أن يعلم أن ما كان هذا شأنه إذا ورد إلى البدن استعملت الطبيعة كيفياته وقواه في أماكنها إذا لم تكن مختلفة. ويعنون بالثوالث وهي ما يلزم هذه لكنها بعدها في الرتبة كتفتيت الحصاة بواسطة تقطيع الأخلاط الحاصل عن الحرارة ودفع الترياق، والسم بكيفيته الحاصلة بعد امتزاجه، ولم يقولوا في القوى روابع وإن كان القياس يقتضيه.

فصل ٦

والأدوية وقد عرفتها تنقسم بالقسمة الأولى إلى نافع ومضر، ولا يقال الأدوية جمع الدواء، والدواء إنما يقال على مزيل الداء. فكيف يسمى الضار والسمّ دواء، لأنها تقول الأدوية في الاصطلاح شاملة للكل وأيضاً فإن الضار فيه نفع من وجه فهو دواء إضافة الضار إلى الدواء، ويعبر عنه بالأدوية أولى من العكس، فاعلمه. وهما وإن كانا من الأمور النسبية فإنهم يريدون أن كل ما حفظ البدن أو أزال أو أصابه فهو نافع، وإن ضر بوجه أو تقدير؛ وما أفسده أو جلب أو أصابه فهو مضرّ وإن نفع بوجه أو تقدير.

فصل ٧

واعلم أن الأدوية لها أفعال كلية عامة كما يكون للحار التسخين والتفريق، وللبارد التبريد والتكثيف وللرطب الإلانة والتسييل، وللياس الإمساك والتنشيف. ومنها جزئية خاصة كالنفع من مرض خاص أو في عضو معين. ثم إن الأدوية توصف بوصفين: أحدهما ما يخص نفسه

وجرميته، والثاني ما يخص قوته وفعله. فالأول كاللطيف ويراد به الذي إذا ورد إلى البدن تصغرت أجزاؤه ونفذت في جميع أجزاء البدن بسرعة ما كالزعفران وكالكثيف وهو مقابلها كالجنسين، واللزج وهو ما كان متصلاً بلدونة يعسر على الطبيعة تفريقه أو يتبعها كالقرى والخارى والهش وهو ما يتهلهل بسرعة إما لضغط يسير أو بلة تناله كالصبر، والجامد وهو ما قد كان مائعاً أو يقبل الميعان لكنه عرض له ما جمعه أو حفظه على حاله كالشمع، والسائل، وهو أن يكون إذا وضع على الحضو جرى وتشابعت أجزاؤه متصلة أو منقطعة كالعصارة والدهن، واللعابي وهو ما ينفصل عنه رطوبة لدنه بغلظ كالخطمي، وقد تشتبه اللعابية واللزوجة في وقت، والدهن وهو الذي يكون فيه رطوبة دهنية بها تكسبه نضارة وسخونة وتعدّه بسرعة الاشتعال كالحبوب اللبوب والناشف، والقحل، وهو ما غلبت أرضيته وخلا من رطوبة محسوسة ويكون من شأنه أن يجتلب الرطوبة إلى نفسه أو جهته، والخفيف ما سهل احتماله على الطبيعة وأسرع فعله ونزوله، والثقيل ضده. والوصف الثاني وهو مأخوذ من قواها وأفعالها وهو كالشرح والتبيين لما قدّمنا من ترتيب القوى، فيقولون دواء ملطف وهو الذي يرقق غلظ الأخلاط كالخاشا[1] والدار صيني، ومغلظ ضده ومحلل وهو الذي يفز الفضل بإخراجه عن مكانه وإزعاجه عن مقره أما بتبخير أو غيره كالجندبيد ستر، ومسك ضده وقيل المجمد ومحلهما البارد والقابض وجالي وهو الذي يجرد الفضلات ويزيلها بقوة كالانزروت، فإن كان بلطف وانفعال مع رطوبة مائعة تعينه يسمى غسالاً كماء الشعير،

(١) ابن البيطار، المرجع السابق، ٢/ ٢.

وإن كان في غاية القوة بحيث يجلو به وسخ العظام سمي القاشر، ومخشن وهو الذي يجعل أجزاء العضو مختلفة في الارتفاع والانخفاض وهو يفعل إما بالتكثيف فالعفص أو بالتفريق فالخردل، والملس ضده، ومفتح وهو الذي تباعد ما بين فوهات المنافذ لينسهل خروج الخلط المحتقن في المسالك كقطر اساليون، ومرخي وهو الملين كبذر الكتان، ومصلب ضده، وربما سمي مبلداً ومنضج وهو الذي يعد الأخلاط للاندفاع إما بأن يغلظ كالخشخاش أو يرققه ويخلخله كطبيخ الحاشا، أو يلينه كالحلبة، ومقطع وهو المفرق لأجزاء الخلط ومبدد كالزوفا[1] والسكنجبين[2]، ومفشي ويسمى كاسر الرياح أيضاً وهو الذي يكسر سورة الريح ويدفعه أو يهيئه لذلك مثل بذر السذاب، وجاذب وهو الذي يحرك الفضلات عن أماكنها ويمدها إلى جهة نفسه كالثافسيا[3] ولحم الجرى، وحار وهو الذي يصدر الفعل عنه وحياً بشدة ولا يستعمل ها هنا إلا في الخار فقط، ولاذع وهو الذي يحدث في البدن نخساً لطيفاً كالخل وماء البصل، فإن أحد تسويكا وأوجب حكه سمي محككا، ومحمر وهو الذي يجذب الدم إلى ظاهر العضو جذباً قوياً كمضاد التين والخردل، ومقرح وهو الذي يأكل الجلد ويفرقه ويجذب إليه أخلاطاً حارة نعيته في كمال فعله كمسل البلادر، ومحرق وهو الذي يفني رطوبات الموضع ويبقى رمادية توجب إلهابا كالفربيون، وأكال وهو الذي يبلغ من جلائه وتقريحه أن يقص اللحم

(١) ابن البيطار، المرجع السابق، ٢/ ١٧٢.

(٢) شراب من الخل والعسل.

(٣) ابن البيطار، المرجع السابق، ١/ ١٤٨.

كالزنجار، ومفتت وهو الذي إذا صادف خلطا متحجراً فرق أجزاؤه كالزروج المحرق، ومعفن وهو الذي يفسد مزاج العضو ولا يحدث تآكلاً ولا احتراقاً كالزرنيخ والثافيسيا، وكاوي، وهو الذي يحرق الجلد ويجذب إليه مادة ويقحلها ويسدد بها ويمنع تنفسه كالزاج في حبس الدم، ومقوي وهو يحفظ مزاج العضو ويعدله وينميه إما لخاصيته أو بقوة كالطباشير والطين المختوم ودهن الورد، ومفرح وهو ما يبسط النفس ويعدل مزاج الروح وينميه وينفي عنه الأحزان كالشراب، وهاضم وهو الذي يعين الطبيعة على دفع الغذاء والخل وإخراجهما عن المعدة وغيرها كالمصطكى، ومفجج ضده لكثرة الماء البارد وهو ضد المنضج وكذا المرقق، وقيل ضد المنضج المبلد، ويصدق على القوى والخلاط، ومشهي وهو الذي يحرك الإرادة إلى الغذاء أو الاستزادة منه، ورادع وهو الذي يمنع عن العضو المواد ويجعله غير قابل كحي العالم، ومنفخ وهو ما يحدث في الجوف نفخاً ورياحاً عسرة الاندفاع كاللوبيا، ومخدر وهو الذي يكثف الروح الحساس أو المجري فلا يبقى يحس بما يرد عليه كالأفيون، وموسخ وهو الذي يمنع القروح من التجفيف والإندمال ويجعل سطح القرحة غثاً كالدهن والشمع، والمزلق وهو يرطب الأعضاء ويلينها ليصير هو وما فيها قابلاً للسيلان كالأجاص، ومجفف وهو الذي يفني رطوبات البدن أو يقللها كالسندروس[1]، وقابض وهو الذي يجمع الأجزاء كالعفص فإن ضبطها مع ذلك سمي قابضاً وعاصراً كنوى التمر هندي، ومسدد وهو الذي تلجج في المسام فيمنع نفوذ ما يندفع إما ليبسه كاسفيد راج الرصاص

(١) ابن البيطار، المرجع السابق، ٣/ ٨٣.

أو للزوجته وتغريته كالألعبة، ومفري وهو اليابس بالفعل وفيه رطوبة لزجة يسد بها الفوهات. ويحبس السيلانات كالنورة المغسولة، ومعطش وهو ما يجعل الطبيعة مشتاقة إلى الترويح إما لقلب فترويحه بالهواء وإما غيره فبالماء، والمدمل والملحم والخاتم، قوم لا يفرقون بينهم وقوم يجعلون المدمل هو الذي يغذي الجراح ويوصل فوهاتها إما بشدة جمعه أو رطبه يجمع بين فمي الجراح مع جلاء المواد الفاسدة، ومنع تحليها إليها، والخاتم ما لا يبقى في الجرح تفرق ولا تجري منه رطوبة، وينغطي بالجلد النابت ويفعل قبل ذكر حشكريشه، والملحم يقال أيضا على منبت اللحم وهو ما يعقد الدم الوارد إلى موضع التفرق لحما، وقوم يخصصون بالالحام الجراح والقروح، والقاتل والسم وهو الذي يحيل بدن الإنسان وطبيعته إلى الفساد والذبول، وقوم يسمون القاتل الذي يهلك بالمضادة كالفربيون والأفيون والسم، وما يقتل بالخاصة كالبيش[1] ونحوه، وقوم يقولون السم ما كان من حيوان والقاتل من غيره، ويصدق عليه أيضاً، ومقابلهما الترياق والبادزهر[2] وهو ما ينجي من الأدوية القاتلة والسموم. ويحفظ على الروح قوته، وقوم يسمون المصنوعات ترياقاً والتي على طبيعتها بادزهر، وقوم يخصون البادزهرية بالمعدنيات وقوم يخصونه بحجر معين، وقوم بالنبات، وقوم لا يفرقون، وقوم يخصونه بخرزة توجد في رءوس الأفاعي، وقلوب الأيائل وهذا من الخرافات، والمسهل والمعرق والمعطش والمقيئ والمدر يجمعها معنى واحد وهو إخراج الفضلات وطردها من جهاتها

---

(١) ابن البيطار، الرجع السابق، ١/ ٨١.

(٢) ابن البيطار، المرجع السابق، ١٥/ ٨١.

المختصة بها كالفضلات الخارجة من المعدة والخارجة من مسام الجلد، ومن الفم والقضيب والثدي، والممسك والمانع ضده وقيل والقابض. ولا يخفى على المحصل كل واحد من هذه الأفعال بماذا يتم من القوى الأوائل، وهل يتم بواحد أو أكثر واجتماعها وانفرادها ولابد من ملامحة القوام مع ذلك[1].

فصل ٨

واعلم أن الأدوية يعرض لها أحوال من خارج تعينها على كمال فعلها أو تضعفها أو تعد لها وذلك فإن ماكان منها كثيف الجرم مكتنزاً فيحتاج في كمال فعله وإظهار قوته إلى السحق والدّق أو الطبخ وهما على قسمين: قاصر وبالغ. فالقاصر من السحق ما يستعمل فيما يضعفه البالغ كالصموغ والعصارات وكل دواء لطيف. والبالغ فمنه إلى الغاية حتى يتصخر ويلطف بحيث يصل إلى غايته وينفذ إلى المسام الشعرية كالأكحال والنفوخات، ومنه دون الغاية لتبقى قوته عليه إلى أن يصل إلى الموضع المقصود لبعده كأدوية الرئة، والسحق منه ما يحتاج إلى رطوبة تمنع عنه حرارة السحق، وتميعه كالتوتيا وخبث الحديد، ومنه ما يحتاج إلى الشيء لتقل رطوبته فتعين على سحقه أو يراد به ظهور حرارته بنقصان رطوبته كالأوراق والبذور المندية والرطبة، ومنها ما يحتاج إلى تندية كالدار صيني، ومنه ما يبرد أولاً لصلابة جوهره وقوة اكتنازه كالقرن، ومنه ما لا ينسحق إلا مع غيره كالدّبق مع لبّ الخروع ومنه ما يضرّ البدن شدة سحقه فيترك له وهو ما يتشبث بالأعضاء ويكون رديّ الكيفية كشحم الحنظل، والشيخ

(١) جاء "ملاحظة" في مخطوطة أو بـ الا.

ذكر خلافه فيه. ومنه ما لا يفعل المراد منه إلا مسحوقاً كالغاريقون وغيره، والقاصر من الطبخ يصلح لما كان قوته سريعة التحلل، فإن بولغ فيه فسد وهذا أكثر ما يكون في الأزهار والأوراق كالأفتيمون[1] والأسطوخودوس[2]، ومنها ما لا يفعل إلا مطبوخه أو طبخها أنفع كسُلافات الفواكه والبابونج، والبالغ منه ما لا يستفاد منه بالقاصر منتفعة مقصودة كأصل الكبر والرزاوند. ومن الأحوال الواردة على الأدوية الإحراق، وهو مقوى ومضعف ومعد ومفسد ومصلح، فجميع الأدوية الحارة الحادة يضعفها الإحراق كالقلقطار، والأدوية الكثيفة يلطفها ويقويها مثل النورة والسرطان كالأريسم[3] يحرق ليستعد للدق والسحق، وكالعقرب المحرق لتبديل صورته وإصلاح جوهره. ومنها الغسل وذلك ليذهب عنه حدّته ويعدّله، وهذا يستعمل في الأجزاء الأرضية المحرقة كغسل النورة، أو لتذهب عنه قوة لا مدخل لها في المداواة وربما أدت إلى أذية، ويحتاج هذا النوع من الغسل إلى استقصاء كالحجر الأرمني[4] والأزورد لتزول عنه قوته المقيئة، ومنها ما يفسده الغسل كالهندباد والحمص لأنها تذهب جواهرها اللطيفة أو ليبرد وينكيف ببرودة الماء ويزيد قبضه وناريته أو يعدله كغسل السويق والشاذنج[5]، ومنها المجاورة وهي مقوية ومضعفة وقد تقدم ما يستعان بتمثيله. ومنها الممازجة وهو معين ومانع وحافظ ومصلح، فالأول كالزنجبيل مع التبريد، فإن التبريد فيه قوة

(١) ابن البيطار، ١/ ٤٠.
(٢) ابن البيطار، ١/ ٢٤.
(٣) ابن البيطار، ١/ ٧.
(٤) وكان يستعمل لعلاج الطاعون، ابن البيطار، ٢/ ١٢
(٥) ابن البيطار، ٣/ ٤٩.

مسهلة لدقيق الأخلاط فمع اجتماعه بالزنجبيل يعينه على إخراج الغليظ، وكالزعفران مع الأدوية القلبية الباردة ليعين على التنفيذ وسرعته، ومن المعين المسك ليتم فعل الدواء ببقائه كالقوابض مع المسهلات، وكالمقيئ مع أدوية الكبد، لأن بحركة المعدة إلى القيء تنضغط العروق الكبدية فيحتبس الدواء فيقوى فعله؛ والثاني مثل خلط البارد بالحار ليقلل من فعله أو يبطله ويبقى له قوة أخرى مقصودة كبياض البيض مع أدوية العين الحادة، وكالبنفسج والهليلج[1] معاً أو سبق الهليلج وبالعكس لمعنى آخر؛ والثالث مثل خلط الأفيون بالمعجونات ليحفظ قوتها ويهذبها ، والفلفل مع الزنجبيل، والشمير مع الكافور، وعجن الأدوية بماء الكراث، وهذا من قبيل المسك، والرابع كخلط الكثيراء[2] مع الصبر للمحرور والورد والمصطكى للمبرود.

فصل ٩

واعلم أن الكيفيات تقال عن الأدوية والأغذية بمعنيين: بالقوة وبالفعل. فيقولون حار بالقوة وحار بالفعل مثلاً، ويريدون ما تدركه حاسة اللمس كحرارة النار وبرودة الماء، وهذا تصدر عنه الأفعال حالاً ثم تنقطع عند زوال المؤثر ويفارق، وما بالقوة هو الذي بتدرجه وانتقاله وتردده يظهر ما في قوته إلى أن يصير بالفعل فيحدث الأفعال المظنونة فيه. وقد يجتمعان وينفردان، ويتوافقان ويتضادان.

---

(١) ابن البيطار، ٤/ ١٩٦.

(٢) ابن البيطار، ٤/ ٥٢.

فصل ١٠

واعلم أن الأطباء والعشابين لم يحيطوا بجميع الأدوية خبرا، ولم يأتوا على كلها ذكراً، ولا وقفوا على جميع منافذ ما ذكروه ومضاره، بل ذكروا من ذلك ما عرفوه، ونصوا من أفعالها على ما علموه وجرّبوه، لأن الأماكن متباعدة لا يمكن سلوكها ولا تفى الأعمار بالإتيان على استعلام تفاصيلها وخواصها. ألا ترى ما قد علموه وجرّبوه، لأن الأماكن متباعدة لا يمكن سلوكها ولا تفى الأعمار بالإتيان على استعلام تفاصيلها وخواصها. ألا ترى ما قد علموه وحرروه كيف دخل عليهم الاشتباه والاشتراك والمناقضة؟ وأصل ذلك كله إذا أحسنّا الظن بهم اختلاف النبات فى ذاته وصورته بحسب المكان والزمان والمبدأ والمنتهى، وحال الرطوبة والجفاف واختلاف الأحوال، فيخبر أحدهم عن طريه بصوره وعن يابسه بأخرى وعن مبدئه بحالة وعن منتهاه بشىء آخر. فينبغى أن تتلمح أيها الطالب هذه الأمور، وإذا وقفت على دواء، فاذكر مكانه وزمانه وحاله فى وقت إخبارك عنه أو عن تجربتك إياه، ثم إن النبات يتجدد فى كل عام بل فى كل فصل أشياء لم تعهد، ومنها ما يدوم برهة ثم ينقطع، ومنها ما يكثر وجوده، ثم هو بعينه يقل وجوده فى مدة أخرى، حتى إنه يقع مثل هذا فى الحيوان والمعدن وذلك لاتصالات فلكية وأحوال طبيعية. ثم ينبغى أن تعلم أن الأمزجة الإنسانية تتغيّر، بل المزاج الواحد بحسب الفصول والأسنان والعوارض، فتفعل فى وقت عما لا يفعل فى غيره عن أضعافه، ويصلح له فى وقت شىء غير ما يصلح له فى غيره. ألا ترى إلى مقادير الشرابات وأوزان المستعملات كيف أن ما قدم أقوى مما حدث وأكثر، لأن الأمزجة فى هذا

الدور بالنسبة إلى هؤلاء بك أضعف، ثم إنه قد ينعكس هذا الحكم في وقت آخر. هذا وقد عدم فيه الحاذق وكثر المائق[1]، وإني أذكر في كتابي هذا الأولى من التقدير، وأذكر ما يستعمل غالباً من الأقل إلى الغاية في أكثر الأمر ويزيد المباشر وينقص منه بحسب مزاج غريب أو عارض عرض، ولم أقدره، وأذهب إلى التقدير الأول لأن العالم فيه عدم، والجمال وعوام الناس محتاجون إلى الانتفاع والمداواة، فإذا قدر لهم مقدار مأمون القائلة انتفعوا به لأن نقلهم من الكتب وضبطهم فيهم خير من مداواة الجهال، إذ هم الوباء العام في عامة الناس.

فصل ١١

واعلم أن المختار من الأدوية والمجتنى منها ما كان من حيوان، فيؤخذ في شبيبته وفي زمن الربيع صحيحة الأجسام والقوى، ويؤخذ منه حية أو مذبوحة. وما كان من معدن، فيؤخذ منه في أول الشتاء إن لم يمنع مانع الشتاء، والخالص عن شيء يشوبه من أرضيته أو غيرها غير فاسد في لونه ومخصوص به، طيب الطعم، ظاهره نقي من أمراضه وعيوبه الطبيعية، وأن يقصد معادنها المشهورة بها إن كانت موجودة كالقلقنت القبرصي والزاج الكرماني مثلاً، وكذا في الأدوية كالأفيون المصري. وما كان من نبات فإن كان جملته فليؤخذ عند كمالها وقبل تغيّر لونها وذبولها؛ والبذور فعند امتلائها واحتكامها وأخذها في الجفاف. فأما الأزهار فعند كمالها وتفتحها وعند أول ما ابتدأ بها الذبول إلا الورد فيؤخذ أول زمان تفتحه؛ والأغصان فقبل أن تجف وتأخذ في النشاف وذهاب النضارة والرونق؛ والأصول

(١) من "مأق" السريع إلى البكاء مع الاكتفاء به.

فتؤخذ قبل سقوط الورق وعند انعقاد الثمار إلى قرب جفافها؛ والثمار فعند كمالها وقبل سقوطها إلا ما يراد فجاً فيؤخذ قبل أن يتموه أو يلين؛ واللحاء فعند كمال الثمرة؛ والصمغ[1] فعند أول ما تعقد ثمرة الزهرة وكذا العصارة. وينبغي أن يجتني ما يجتني عند صفاء الهواء، ولا يؤخذ تعقيب غيث ولا ما دام عليه ظل الليل ولا آخر النهار ولا في الليل.

واعلم أن البرّي والجبلي أقوى من البستاني والسهلي والمائي، والبحري أقوى من المائي، وقد يكون أقوى من البري إذا كانا من نوع واحد، وما كان منه في زمانه خير من الذي لم يكن في زمانه. وهذا كله في أغلب الأحوال والأمكنة النديّة رديئة لحفظ الأدوية، والحارة والهوية للعطريات والأفاوية وسائر القوى اللطيفة. والعصارات والصموغ يفسدها التراب. وكذا المسحوقات، والأدخنة والشمس رديئة لسائرها إلا ما يحتاج إلى تجفيفه ولا تحل الشمس قوته.

فصل ١٢

والغذاء وقد عرفته ينقسم إلى لطيف أو كثيف أو معتدل بينهما، وكل واحد منهما كثير التغذية أو قليلة معتدلة، وكل واحد منهما محمود الكيموس[2] أو مذمومه أو متوسطه، وكل واحد منها سريع الهضم أو بطيئه أو معتدله. ثم الأشربة فالبسيط منها وهو الماء على قسمين: خالص ومشوب. فالخالص له التبرزق والتبريد والترطيب والإلانة والمشوب فالدوائية عليه أغلب، كالماء النحاسي والنفطي. والمركب منهما فيوصف بما

(١) كلمة يونانية الأصل معناها الخلط أو الحالة التي يكون عليها الطعام بعد فعل المعدة فيه.

يوصف به الدواء من حيث دوائيته وما يوصف به الغذاء وذلك لما قدمنا، ثم إن الأطباء تختلف أنظارهم ومقاصدهم بحسب أفكارهم وتخيلاتهم في تقدير الأدوية وترتيبها، وذلك أن المزاج الإنساني له غرض ما محصور بين حاصرين وهما جنباً إفراط وتفريط، بحيث إذا جاوز ذلك الحد المقاض له في المبدأ لم يصلح لأن يكون مزاج إنسان به وكذا مقابله بحيث إذا نقص عن ذلك الحد ولم يبلغه، لم يصلح للإنسانية، فبعضهم يذكر القدر المستعمل بالنسبة إلى أضعف الأمزجة الإنسانية وهو ما يحصل منه في أول حد المبتدأ، وهذا يذكر أقل ما يمكن استعماله، ثم إن المعالج يزيد عليه بقدر الحاجة وللإمكان والإمعان في المزج وللبعد في المعدة، وبعضهم يذكر القدر المستعمل بالنسبة إلى منتهى الطبيعة الإنسانية وغايتها وهو ما في آخر حد المنتهى من أفق المزاج الإنساني. وهذا يذكر أكثر ما يمكن استعماله في المزاج الإنساني، ثم إن المعالج ينقص منه بقدر بعد الشخص عن المنتهى وتنازله عنه وحاجته، وبعضهم يذكر القدر المستعمل بالنسبة إلى أعدل شخص يقع بين الأفقين من أعدل صنف في أعدل زمان ومكان، وقد جاوزت سنه أوائل الشباب وحدثه، ولم يبلغ منه غايته صحيحاً في بدنه وقواه الظاهرة والباطنة غير ناقص خال من الأعراض النفسانية والتغييرات البدنية والعنصرية ومن زمان أو مكان، غير جائع ولا شبعان، ويجعل الزيادة والنقصان إلى المباشر بحسب البعد والقرب عما ذكرنا. فإذا احتاج إلى علاج مريض اضطر إلى أن يضيف إلى هذه ملاحظة نوع المرض وشخصه وقوة المريض وعادته والوقت الحاضر من أوقات السنة وأوقات المرض والمكان وثبات الاسطقسات وحال العضو وغير ذلك من

جميع ما ذكر في مواضعه، فيزيد بحسب ذلك وينقص. وبعضهم لم يذكر قدراً بالمرة، ويجعله موكولاً إلى نظر المباشر، وهذا رأي حسن لكنه منه خطر، خصوصاً في زماننا من حيث تعديه. وقد نهى الأطباء عن الجمع بين الاستحالة كالبطيخ واللبن أو بين مختلفي القوام أو متضادي القوى كهش وصلب ومزلق وقابض، أو مخش ومرخي، ولا بين متفقين في الكيفية ضارين لعضو بالخاصية أو بالقوة كالخل والأرز واللبن الحامض والدجاج الأبيض المسلوق اللهم إلا أن يكون المورد لذلك أو المستعمل له عارفاً عالماً فيعدل بالمضاد ويصلح بالمخالف، ويرتبه ترتيبا يدفع ضرره. وقد ذكرنا قانون التغذية والغذاء وتفصيله بأمثلة في موضع أليق بهذا. وينبغي أن تعلم أن هذه المقدمة بفصولها وجميع ما أجل فيها، قد فصّل وذكر في مواضعه عند ذكر الأدوية، وأوضح بحسب الطاقة، وهذا آخر ما أردنا إيراده في هذا المكان، وهذا حين ابتدائي بذكر الأدوية حرفاً بعد حرف مبتدئاً بالألف وما يثنيه على ترتيب الحروف من الألف ثم الباء إلى آخرها، ثم بالباء وما يثنيها من الألف ثم الباء إلى أخر حروف المعجم، ومختتما هذه المقدمة بحمد الله والصلاة متوسلاً بواجب الوجود وإعطائي الإعانة والقوة وحسن التوفيق منه إنه سميع الدعاء مجيب عليم قريب.

فصل ١٢

والنباتات ذوات الكيفيات المتحرفة مفردها ومركبها يوجد في الأكثر جيّدة مشتدة بالبلدان المتحرفة والأراضي الصلبة، فدائماً الأدوية بها أقوى، ألم تر إلى الجبلية والسهلية، والبرى أقوى من البستاني غالباً، والباردة إذا

وجدت في البلدان الحارة وبالضد كانت كيفياتها أقوى وأشد غالباً وما قلت رطوبته أقوى، والمعتدلة منها ففي البلدان المعتدلة أولى.

فصل ١٤

لم أفرد في هذا الكتاب من أجزاء نبتة أو حيوان شيئاً عن أصله كالأوراق والبذور والصموغ والعصارات والأصول والأزهار، فإنها أجزاء ما هي منها اللهم إلا ما انفرد منها باسم له واشتهر به، وإن أفردت بعضها فيسير لأن العرف أو الاستعمال أو عادة المتقدمين جرت بانفراده كإفراد اللحم والشحم والمرارة، فإنه وإن كان جزءاً مذكوراً مع كله، لكن عادة جالينوس في كتبه إفرادها ولا ضرر في تكرار إن وقع لأن يكون يسيراً، والتأكيد لما ذكر متصلا ومنفصلاً. ولم أذكر فيه مركباً اللهم إلا ما هو أشبه بالبسيط كالأدهان والأنبذة لأنها قليلة العمل، وليست أخلاطاً كثيرة ولا أجزاؤها مقصودة الأركان، وإن كان الواجب أن تذكر مع أزهارها وأصولها، لكن أفردت لأن العادة والغالب إفرادها وذكرها في المفردات، مع الخمر، فلو لم تفرد لعسر على العامي والمقصر تحصيل ما يراد منها، وهذا كتاب عام النفع إن شاء الله تعالى.

حرف الألف

*آالسن: يوناني، وبعضهم يزيد واواً بعد اللام. وتفسيره مبرئ الكلب ويعرف أهل الشام بحشية اللجاه وحشيشة السلحفاة، ينبغ بمواضع جبلية وأماكن وعرة، وهي نبات يعلو قدر ذراع ذات ساق واحد تشبه الفراسيون في هيئته إلا أنها أخشن منه ورقاً وأكثر شوكا لها زهرة في أصول ورقها

أحمر إلى الكموزدة ثم تخلف بزراً إلى العرض ما هو كصغار النرمس في غلف ذي طبقتين، وهو مجفف باعتدال، حال محلل جلاء وكأنه يقارب أواخر الثانية بحرارته، إذا شُرب من طبيخه سكّن البرد والجمود حالاً، ولا يُسقى وهناك حُمّى، وإذا سحق بزره وخلط بالعسل أبرأ البثور التي تكون في الرأس المسماة بالسلبنية، وهي قروح تشفة صغار مستقارية ترشح ماء أبيض إلى الصفار، ويزيل الكلف أيضاً طلاء، وإذا شرب منه وزن درهم نقي الكف، وإذا ذُق وصُيّر في طعام المكلوب أبرأه بالخاصية.

وقال جالينوس: إذا التقط هذا الدوء عند طلوع الشعرى اليمانية وهو أواسط الصيف وجُفف ونُخّل بعد دقّه وخُزّن ثم سقى منه المعضوض وقت الحاجة بماء العسل مقدار أربع أواق ونصف في مرات نَفع نفعاً بليغاً بالخاصية، ومقدار ما يسقى منه إلى درهمين، ويجوز أن يعطيه منه دفعتين بينهما يوم.

ومن خواصه أيضاً أنه إذا علق في بيت حفظ صحة ما به من الناس والبهائم وإذا شدت بجملتها في خرقة حمراء وعلق على المواشي الوجعة سكن آلامها، وإذا أمسك باليد ونظر إليه المصروع ومن قد جمد من البرد أزال عنه ذلك وسخنه، ونفعه، وذكر الغافقي ما هية شبيهة في جميع أحواله لكن لهذه أصل طويل كالجزر وفي طعمه حلاوة مع حرارة ظاهرة، وقال إنه إذا أخذ ماء ثلاثة أصول من هذه وسقي المعضوض بلبن حليب الذي قد خاف الماء قيأه ونفعه فإن لم يوجد عصير أصوله فمن يابسه وزن درهم إلى درهمين، ويشتبه الدواء المذكور بالقارة ويعشبة السباع وبهذا الشبيه لاشتراكها في النفع من الكلب".

حرف الهاء

'ينمه: اسم بالمغرب لنبتة ورقها يشبه ورق الهندباء زغبة إلا أنها أصغر ولها ساق يخرج من وسطها قدر شبر وأكثر، ولها زهر أصفر وكأنها الجندريلى، وهى مجربة فى إلصاق الجراحات طريقة ويابسة ذراً فافهمه".

تم الكتاب وليكن هذا آخر ما أردنا إيراده من كتاب الأدوية والأغذية المفردة وسنعقبه بكتاب المركبات إن شاء الله تعالى مستمدين من واجب الوجود القوة والتوفيق وأن ينفع بهما والمسئول من الناظر فى كتابى إن رأى سهواً أو غلطاً أو تصحيفاً فليصلحه ويشارك فى المثوبة ويترك التحامل ويتخلق بالأخلاق العقلية وينفع ويتنفع. وما أوردته فى هذا الكتاب المفرد من شىء مضاف إلى مصلحة كالصحناء أو كان شبيهاً بالبسيط فى قلة مفرداته أو جرت العادة بإضافته إلى المفردات أو كان شبيهاً بها من حيث إنه لم يبق فيه جزء مفرد يشير إليه أو كان هو ينقسم إلى قسمين: بسيطة ومركبة كالأدهان والأنبذة فلا يتدر فيه إليه الطعن والنسبة إلى الغلط لكن هذا على ما بان عندى أنه أنسب بذكره هنا كما إنى رأيت ذكر الربوب هنا لا فى غيره وإن كانت أشبه بالمركبات وخصوصاً إذا أضيف إليه شىء من غير أن يكون عصارة مطبوخة فقط، فلى فى ذلك اختيار مع اعتماد ما على كثير من مصنفات الكبار فإنهم اعتمدوا ذلك: والحمد لله رب العالمين".